ترجمات

ركائزُ الجهاز الإباديّ الصهيونيّ الخمسُ:
تفكيك فلسطينيّ لدراسات الإبادة الجماعيّة

ـ نادرة شلهوب-كيڤوركيان ـ

ترجمة أنس إبراهيم

حزيران 2026

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

ترجمات 2

ركائزُ الجهاز الإباديّ الصهيونيّ الخمسُ: تفكيك فلسطينيّ لدراسات الإبادة الجماعيّة

نادرة شلهوب-كيڤوركيان

باحثة فلسطينيّة مقدسيّة نسويّة، يتحدّى عملُها الأكاديميُّ العنفَ المعرفيّ من خلال دراساتها حول وحشيّة الدولة الاستيطانيّة الاستعماريّة، وسياسات نزع الطفولة، وسياسات الأَمْنَنَة ذات الطابع القداسيّ، وجرائم الدولة، والعلاقة بين القانون والمجتمع، والسياسات النسويّة العالميّة. وهي أستاذة في جامعة جنوب أفريقيا، وتشغل منصب الأستاذة العالميّة في القانون في جامعة كوين ماري في لندن، وأستاذة زائرة في جامعة برينستون

نُشِرَت هذه المقالة في مجلّة "Journal of Genocide Research"، العدد 3، عام 2025.

حقوق النشر للترجمة العربية محفوظة لمدى الكرمل 2026

مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

في هذه الورقة، أفكّك الكيفيّات التي اشتبكت بها دراسات الإبادة الجماعيّة مع مقاربة الإبادة الجماعيّة المستمرّة في فلسطين، وكذلك أُقاربُ إشكاليّات السلطة السياسيّة الكامنة في استدعاء مفهوم الإبادة الجماعيّة في هذا السياق. وقبل المضيّ في هذا التفكيك، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا التنظير ينطلق من أصوات وشهادات فلسطينيّة تمتدّ من نكبة عام 1948 إلى الإبادة الجماعيّة المستمرّة اليوم. وهي أصوات فلسطينيّة، مثل صوت فاطمة، الأمّ الغزّيّة التي اشتُهِرَت قصّتها على نطاق واسع في تشرين الأوّل 2023، عندما خرجت لتجلب طعامًا لأطفالها الجائعين، لتعود وتجد أشلاءهم مبعثرة. تقول فاطمة: "الأولاد ماتوا دون أن يأكلوا... ذهبت لأُحْضِر لهم طعامًا وعُدْت لأجدهم أشلاءً". كذلك أتحدّث باسْم الأصوات المكتومة للأطفال الرُّضَّع الغزّيّين، ومن خلالهم، أولئك الذين تُرِكوا ليتحلَّلوا داخل الحاضنات في 9 تشرين الثاني 2023 في وحدة العناية المركَّزة في مستشفى النصر. وهو ما وثّقته شبكة CNN على النحو التالي: "كانت أجساد الرُّضَّع الصغيرة، التي ما زال عدد منها متّصلة بأسلاك وأنابيب كان من المفترَض أن تبقيهم أحياء، تتحلّل في أَسِرّة المستشفى، فيما كانت زجاجات الحليب والحفّاظات الاحتياطيّة ما تزال موضوعة إلى جانبهم على أغطية الأَسِرّة".

يُبرز تحليلي للنكبة الإباديّة الجارية في قِطاع غزّة مركزيّة الموت والإفراط في القتل، كما تتجلّى في أشلاء الأطفال المتحلّلة داخل الحاضنات، وفي أشلاء أطفال فاطمة الممزّقة، ويكشف لنا هذا التحليل الرعبَ اليوميَّ المتجذّرَ في أكثر الأجساد هشاشة -الرُّضَّع والأطفال- والمسلَّطَ على أكثر الأمكنة حسّاسيّةً (مثل البيوت والمدارس والمستشفيات- على سبيل المثال).

يستهدف تحليلي الدولة الإسرائيليّة بوصفها فاعلًا يختزل أجساد الأطفال وحديثي الولادة إلى أشلاء، أجساد مُشيَّأة ومقطَّعة ومتحلّلة وممزَّقة، في إطار مشروعها الأوسع لترسيم الحدّ الأنطولوجيّ بين الإنسانيّ واللا_إنسانيّ، أي ذاك الذي يُفترَضُ به أن يُمزَّقَ ويتحلّل ويُقتل لكي يختفي من الوجود. إنّ الوحشيّة الإباديّة للهجمات العشوائيّة التي تهدف إلى القتل، بما في ذلك التخلّي عن الأطفال حديثي الولادة وهجرهم في حاضناتهم، تنقش في الجسد (على لحم) الفلسطينيّ وفي الوعي الصهيونيّ معًا أنّ الأجساد الفلسطينيّة يمكن -بل ينبغي- أن تظلّ دائمًا في حالة خضوع للموت والإفراط في القتل. إنّ هذا النقش للسلطة في لحم الأطفال، كما في لحم الرجال والنساء الفلسطينيّين، صغارًا وكبارًا، يؤسّس صلةً أنطولوجيّةً بين أجسادهم المحتضَرة والدولة الاستيطانيّة الاستعماريّة.

وكما شرح فرانز فانون (1925– 1961)، يقتضي فَهْمُ الاختلاف الأنطولوجيّ للمستعمَرين النظرَ إلى ما دون مفهوم الكينونة (Being)، بل إلى ما دون مفهوم اللا-كينونة أيضًا؛ ولذلك يصرّ على التعمّق في تحليل التوتُّرات التي تنشأ داخل علاقة اللحم بالأرض.

ومن خلال منظور "الأشلاء" المستَغْلِقَة على الفهم، تحرم الدولةُ الاستعمارية الاستيطانيةُ هذا اللا-كائنَ المُعَنْصر (racialized nonbeing)[1]، المُفرَّغ من الحياة، من إنسانيته، كي تُبقي عليه وعلى الفلسطينيين في حالة لا-اكتمال (unwholeness) والحيلولة أبدًا دون اكتمال الكلّيّ الفلسطينيّ. لكنّ

1. يُستخدم مفهوم "اللا-كائن المصنَّف عِرْقيًّا" (racialized nonbeing) للدلالة على وضع وجوديّ-سياسيّ مُنتَج، يُعاد فيه تعريف الكائن البشريّ عبْر آليّات التصنيف العِرْقيّ الاستعماريّ بوصفه "لا-كائنًا"، أو يقع خارج نطاق الكينونة الإنسانيّة المعترَفِ بها وَفقًا للمنطق المعرفيّ الاستعماريّ. لا يُشير المفهوم إلى غياب الوجود المادّيّ للكائن المستعمَر، بل إلى عمليّة نزع الكينونة بوصفها صفة إنسانيّة مستحقّة؛ بحيث يُجعَلُ كائنًا قابلًا للقتل والإبادة، بينما يُجرَّد في الآن ذاته من صفة الإنسانيّة التي تجعله في مصافّ الكينونة التي من الواجب الاعتراف بحقّها في الحياة. يُحيل هذا الاستخدام إلى تقاليد فكريّة نقديّة، ولا سيّما التحليل الفانونيّ (نسبة إلى فرانز فانون) التي تَفهم الاستعمار بوصفه نظامًا يُنتِجُ تصنيف "اللا-كينونة" (Nonbeing)، كتصنيف قسريّ، ليتمكّن من خلاله من ممارسة السيادة والعنف على الأجساد الخاضعة لهذا التصنيف، وتبرير إبادتها أو الإفراط في قتلها [المترجِم].

الفلسطينيين، حين يجمعون الأشلاء ويلملمونها، ويربطون اللحم/ الجسد، ويصلون الحيوات الفرديّة بالحياة الجمعيّة، فإنهم يعيدون تأسيس معنى الشعب/ الجماعة السياسية.

لقد أجبرتنا الفظائع العنيفة التي نشهدها في غزّة، على مدار العشرين شهرًا الماضية، أن نكون شهودًا على خنق الأطفال الرُّضَّع؛ وهو خنقٌ أُريدَ به إخضاعُهم لسلطة الاحتلال. وما شهدناه في هذه الفظائع يشكّل تعبيرًا مباشرًا عن النظام الإماتيّ-العقابيّ الإسرائيليّ (Israeli necropenological)،[2] محلّيًّا وعالميًّا.[3] وقد شهدنا هذا الرعب مجدَّدًا في وقت قريب من هذا الشهر، في التجويع المتعمّد للأطفال الفلسطينيّين ومجتمعاتهم بدافع الجشع التوسُّعيّ الإسرائيليّ.[4]

ثمّة مثال صارخ آخَر على النظام الإماتيّ-العقابيّ (نكرو-عقابيّ) الإسرائيليّ يتجلّى في المشهد الآتي: في 5 أيّار 2025، صوّر عدد من الجنود الإسرائيليّين أنفسهم وهم يفجّرون مبنى في غزّة، مستخدمين دخانًا أزرق في ما أسمَوْه "حفل كشف جنس المولود"، احتفاءً بجنس طفل جَنين لأحدهم.[5] جرت هذه الاحتفاليّة المروِّعة في الوقت الذي كان يُترك فيه حديثو الولادة وحيدين في حاضناتهم، وتُقصف عائلات بأكملها في منازلها أو في خيامها، أو في المستشفيات أثناء تلقّيهم الرعاية. كما تكشف الاغتيالات الممَنْهَجة للأطبّاء، والصِّحافيّين، والمعلّمين وغيرهم، شهيّةً لا تنتهي لموت فلسطيني دائم.[6] ومن الأصوات الصامتة لأولئك الرضّع الممزّقين إلى أشلاء، ومن القسوة الإماتية-السياسية (النيكروسياسية) المتمثلة في حفل "كشف جنس المولود" عبر استخدام الأشلاء الفلسطينية، أقرأ وحشية المحتلّ. وفي مواجهة هذه الأُنطولوجيا المميتة المتجسّدة، ومركزية الموت في بنْيتها، أقرأ الأجساد المبعثرة — الأشلاء، والحضور الطاغي لأجساد الرضّع المتحلّلة— بوصفها صوتًا قويًا يوجّه تحليلاتي.

---

2. نعتمد في هذه الورقة ترجمة الجذر "necro" إلى "إماتة" بوصفها مفهومًا أُنطولوجيًّا وسياديًّا، لا توصيفًا بيولوجيًّا للموت فحسب؛ فالمقصود في الأدبيّات النقديّة المعاصرة ليس الموت بوصفه نهاية طبيعيّة للحياة، بل بوصفه نمط إنتاج للوجود، وشرط حكْم، وتقنيّة سياديّة تُعاد عبْرها صياغةُ العلاقة بين الحياة والسلطة والمعرفة. تشير الإماتة هنا إلى تحويل الحياة إلى حالة مُعلَّقة في قابليّة دائمة للإفناء، بحيث لا يعود الجسد كينونة حيّة مكتملة، بل مشروع موتٍ مؤجَّل، وسجلًّا سياسيًّا قابلًا للمحو، ومادّة سياسيّة قابلة لإعادة التشكيل. ضمن هذا الأفق، لا تُفْهَم مشتقّات "necro" بوصفها توصيفات متفرّقة للعنف، بل بوصفها وجوهً متعدّدة لبنْية أنطولوجيّة واحدة: فالإماتة السياسيّة (necropolitics) هي نمط سيادة يُمارَس عبْر تعريف الوجود من خلال القتل؛ وسلطة الإماتة (necropower) هي القدرة على تعليق الحياة خارج أفق الحماية الأخلاقيّة؛ والإماتيّ–العقابيّ (necropenological) هو إدماج الإماتة والعقاب في جهاز حكم واحد؛ والإماتيّ الأرشيفيّ (necrological) هو تحويل الموت إلى سجلّ ومعيار للمعرفة والذاكرة؛ وأُنطولوجيا الإماتة السياسيّة (necropolitical ontology) هي إعادة تعريف الكينونة من خلال القابليّة للإفناء؛ والثقافة الإماتيّة-الأرشيفيّة (necrological culture) هي تطبيع هذا الوجود المعلّق بوصفه سرديّة وقيمة؛ أمّا الإفناء الإماتيّ–السياسيّ (necropolitical annihilation) فهو ذروة هذا النظام حين يتحوّل القتل إلى محوٍ منظَّم للوجود الجمعيّ. تتيح "الإماتة" بوصفها مفهومًا عربيًّا جامعًا الإمساكَ بهذه البنْية بوصفها أُنطولوجيا سلطة لا واقعة موت، وبوصفها نمط وجود مفروض لا حادثة عنف معزولة. وعليه، لا تُستخدم الإماتة في هذه الورقة للإشارة إلى ما يحدث بعد الحياة، بل إلى ما يُفعل بالحياة ذاتها حين تُعاد صياغتها داخل منطق سياديّ يجعل البقاء نفسه مشروطًا، هشًّا، وقابلًا للإلغاء. ويُلتزَم بهذا التثبيت الاصطلاحيّ في جميع أجزاء المقالة حفاظًا على وحدة الحقل المفهوميّ، وعلى قدرة المصطلح العربيّ على احتضان التوتُّر الأُنطولوجيّ والسياسيّ. [المترجِم]

3. Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem," Identities 27, no. 3 (2020): 285– 301.

4. OCHA, Humanitarian Situation Update #286: Gaza Strip, 7 May 2025, https://www.ochaopt.org/content/humanitarian-situation-update-286-gaza-strip; "Palestinian Human Rights Organizations Condemn Israel's Continued Use of Starvation as a Weapon of Genocide," Al-Haq, 11 March 2025, https://www.alhaq.org/advocacy/26047.html; "Starvation as a Weapon of War," editorial, Lancet, 6 April 2024, https://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736(24)00684-6/fulltext.

5. Admin, "'Inhumanity': IDF Soldiers Drop Blue Bomb in Gaza as Part of Gender Reveal Celebration," OccupySF, 6 May 2025, https://occupysf.net/index.php/2025/05/06/inhumanity-idfsoldiers-drop-blue-bomb-in-gaza-as-part-of-gender-reveal-celebration/.

6. Hala Gorani and Briony Sowden, "Israeli Military Is Destroying Hospitals and Targeting Medical Staff in Gaza, Doctors and Nurses There Say," NBC News, 23 July 2024, https://www.nbcnews.com/news/world/israel-hamas-war-investigation-doctors-hospitals-targeted-gaza-rcna162684; UN OHCHR, Gaza: UN Experts Condemn Killing and Silencing of Journalists, 1 February 2024, https://www.ohchr.org/en/press-releases/2024/02/gaza-un-experts-condemn-killing-and-silencing-journalists; Patrick Jack, "Academia in Gaza 'Has Been Destroyed' by Israeli 'Educide'," Times Higher Education, 29 January 2024, https://www.timeshighereducation.com/news/academia-gaza-has-been-destroyed-israeli-educide.

ينطلق تحليلي الأُنطولوجيّ من الاحتلال والاستحواذ المجازيّين للجسد الفلسطيني المتحلّل؛ فعلى هذا الجسد يمكننا أن نقرأ استخدامَ الدولة الصهيونية الغاشم للعنف، وأن نفهم مركزية الموت والقتل والإفراط في القتل داخل المشروع الاستعماري الاستيطاني. ذلك أنّ لذّة الجنود الإسرائيليين وفرحهم الاحتفالي خلال "حفل كشف جنس المولود" في أيّار 2025 يعبّران عن أيديولوجيا المستعمِر الصهيوني؛ وهي أيديولوجيا تبتهج بتشويه الفلسطينيين وموتهم ومعاناتهم. فبينما كانوا، حرفيًا، يفجّرون الأجساد الفلسطينية، احتفل الجنود مردّدين: "إنّه صبيّ". ما الذي يكشفه ذلك عن الأيديولوجيا الصهيونية التي تجعل الجنود قادرين على الاحتفال، بل وتجعلهم يحتفلون بالفعل، في اللحظات نفسها التي يدمّرون فيها جغرافيا السكان المستعمَرين وبيوتهم؟ إنّ هذا التلاقي بين العنف واللذّة —الذي بُثّ مباشرةً في مشهدية استعراضية عبر حفل كشف الجنس/ القصف— يفضح، بوحشيته، السياسات الأنطولوجية المحلية والعالمية، والمعضلات التي تواجه دراسات الإبادة الجماعية اليوم.

يكشف تجريد الفلسطينيين من إنسانيّتهم وموتهم المستمرّ بوصفهما نتاجًا مباشرًا للصهيونيّة عن اقتصادٍ إباديّ متجذّر في جغرافيا سياسيّة عنصريّة قائمة على مبدأ تفوُّق البِيض؛ وهو اقتصاد يجرّد الفلسطينيّين من إنسانيّتهم، بمن في ذلك الأطفال الرُّضَّع. تُمَكِّنُ أعراف هذا الاقتصاد وتقنيّاته التكنولوجيّة وجماليّاته وبصريّاته استمرار الإبادة وإعادة استهلاكها أنطولوجيًّا. إنّه اقتصاد يُعاد إنتاجه عبر تشابك الأشلاء مع التجربة الحشويّة والحسّيّة العميقة للعيش وسط هذا القدر الهائل من الموت. ويتّخذ هذا التشابك شكلًا آخَرَ عندما تتحوّل فلسطين بأكملها إلى مختبَر لإسرائيل لاختبار أنظمة مراقَبتها الخاصّة، التي تُسوَّق باعتبارها "مجرَّبة ميدانيًّا"، والتي تستمدّ أرباحها وشرعيّتها من تمزيق الأجساد الفلسطينيّة.[7] وهذا الاقتصاد متجذّر -ويُنتِجُ الأمثِلَةَ على أيدولوجيّته- في الْتزام الدولة الاستعماريّة الاستيطانيّة بالعنف، ويجسِّد ممارستها للسلطة على الجسد الفلسطينيّ المُنتَجُ بوصفه لا-إنسانيًّا وقابلًا للقتل دائمًا؛ وهو موقف الدولة الأنطولوجيّ المتجلّي في كلّ أفعالها الإجراميّة الإباديّة الاستعماريّة والاستيطانيّة.

في ظلّ هذه الظروف، تصبح الأشلاء الفلسطينيّة مرئيّة أكثر ضمن رغبة الدولة الاستيطانيّة اللامتناهية في التوسُّع، ولو فوق أجسادٍ ممزّقة أو مريضة، وبطونٍ خاوية، ومقابر جماعيّة. وبذلك يُجبَر الفلسطينيّون على البقاء في حالة دائمة من اللا-حياة واللا-كينونة. وتعتمد هذه الأُنطولوجيا المستدامة على استهداف تكامل الجسد الفلسطيني والأرض الفلسطينية وسلامتهما واستمراريتهما. هكذا حُوِّلَت غزّة، ومعها فلسطين بأكملها، إلى مقبرة جماعيّة يتجاور فيها الموت الفلسطيني منه البطيء والسريع، وإلى مسلخ للتشويه والجراح، في خدمة الوظيفة السياسيّة للدولة، وعليه؛ استمرار النكبة.

أقف ضدّ الإصرار الاستعماريّ الاستيطانيّ على تحويل الجسد/ اللحم الفلسطينيّ وجغرافيّته واقتصاده إلى حيّز للموت. ومن هذا الموقف ينطلق تحليلي بوصفي باحثةً في علم الإجرام النسوي؛

---

7. حول الاختبار الميدانيّ للتقنيّات العسكريّة، انظروا:

Leila Katibah, "The Genocide Will Be Automated– Israel, AI and the Future of War," Middle East Report, no. 312 (Fall, 2024); Chris Hables Gray, AI, Sacred Violence, and War: The Case of Gaza (Cham: Springer Nature, 2025), 79, 94.

ولعرض أكثر تفصيلًا للاقتصاد المُعسكَر ودَوْره في الاقتصاد الإباديّ، انظروا:

Antony Loewenstein, The Palestine Laboratory: How Israel Exports the Technology of Occupation around the World (London: Verso, 2023), 8- 10, 20, 29.

في عام 2021، بلغت قيمة صادرات الأسلحة الإسرائيليّة 11.3 مليار دولار أمريكيّ، وبلغ عدد العاملين في إنتاج الأسلحة العالية التقنيّة نحو 140 ألف عامل، إضافة إلى أكثر من 2,300 شركة تعمل في مجال الذكاء الاصطناعيّ داخل إسرائيل، يمتلك عدد كبير منها روابط عسكريّة مباشرة.

ولا تكمن مرجعيّتي الأخلاقيّة في الجهاز القانونيّ، ولا في مواثيق حقوق الإنسان، بل في الحياة الإنسانيّة، وكرامة شعبنا وسلامة مستقبله؛ فأنا لا أومن بنظام الدولة، ولا بما يسمَّى "أمن الدولة"، بل الناس هم مركزي.

وبغية فَهْم النكبة الإباديّة المستمرّة كما تتجلّى في العنف الإجراميّ للدولة، ولتفكيك تجسُّدها الأُنطولوجيّ الاستعماريّ في الجسد الفلسطينيّ كما ينكشف في الأشلاء المتناثرة والممزَّقة، أشير في ما يلي إلى خمس ركائز تحليليّة للجهاز الإباديّ الصهيونيّ.

الركيـزة العماليقيّة الأُنطو_لاهوتيّة

وأقصد بذلك الدمج بين ثلاثة عناصر: التحليلات الأنطولوجيّة المتجسِّدة في اللحم/ الجسد؛ واللاهوت الإسرائيليّ المُؤَمْنَنْ (Securitized Theology)؛ وإضفاء طابع القداسة على السياسات الإسرائيليّة (sacralization of politics).[8] لفَهْم هذا الدمج، علينا أن نعاين كيف تتقمّص الدولة الإسرائيليّة، داخل النظام الاستيطانيّ الاستعماريّ الصهيونيّ الموجَّه ضدّ الشعب الفلسطينيّ، دَوْرَ القصاص الإلهيّ، باستخدام ما أسمّيه في عملي البحثيّ -بالاشتراك مع الباحث الفلسطينيّ نديم روحانا- "السياسات المقدّسة" (Sacralized Politics)، وَ"لاهوتيّات الأمن" (Security Theology). فالمرجعيّات التوراتيّة تنفي "الآخر المُعَنصَر" [الفلسطيني] وتُخضِعُ الفلسطينيّين لتقطيع أُنطولوجيّ متجسّد في اللحم/ الجسد؛ لمحوٍ يطال الجسد والأرض معًا لضمان "الأمن الدائم" لإسرائيل. هكذا تتحوّل الدولة الإسرائيليّة، في خطاب رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو، إلى الأمّة التوراتيّة لبني إسرائيل الذين "عليهم أن يتذكّروا ما فعله العماليق [الفلسطينيّون] بكم، كما يقول كتابنا المقدّس. ونحن نتذكّر، ونحن نقاتل".[9]

ويتجلّى هذا المنطق، على سبيل المثال، في خطاب ألقاه نتنياهو في 28 تشرين الأول 2023، حيث قال:"هذه حرب استقلالنا الثانية. وسنقاتل دفاعًا عن وطننا [...] سنقاتل ولن نتراجع [...] سندمّر العدوّ فوق الأرض وتحتها [...] وسيكون هذا انتصار الخير على الشرّ، والنور على الظلام، والحياة على الموت".[10]

---

8. عن السياسات الأمنيّة الإسرائيلية اللاهوتية، انظر:
Nadera Shalhoub-Kevorkian, Security Theology, Surveillance and the Politics of Fear (Cambridge: Cambridge University Press, 2015).

عن السياسات المقدسة، انظر:
Nadera Shahloub-Kevorkian, "Sacralized Politics: The Case of Occupied East Jerusalem," in When Politics Are Sacralized: Comparative Perspectives on Religious Claims and Nationalism, ed. Nadim N. Rouhana and Nadera Shalhoub-Kevorkian (Cambridge: Cambridge University Press, 2021), 134– 58;

والمجموعة كاملةً.

9. Lazar Berman, "Netanyahu: 'Goal of War is 'to Defeat the Murderous Enemy, Ensure Our Existence in Our Land'," Times of Israel, 28 October 2023. يستدعي نتنياهو (وغيره) نصّ Samuel 15:3: "الآن اذهب واضرب عماليق، وحرِّم كلّ ما لهم، ولا تَعْفُ عنهم، بل اقتل رجلًا وامرأة، طفلًا ورضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملًا وحمارًا". وفي التوراة، يُصوَّر العماليق بوصفهم أعداء شعب بني إسرائيل ومضطهِديه التاريخيّين.

10. Benjamin Netanyahu, "Statement by PM Netanyahu," Israel Ministry of Foreign Affairs, 28 October 2023, https://www.gov.il/en/pages/statement-by-pm-netanyahu-28-oct-2023.

وقد عاد ليردّد اللغة ذاتها في خطاب وجّهه إلى القوّات العسكريّة الإسرائيليّة، معلنًا:

"أساس وجود أمّة إسرائيل الضاربة في القدم منذ آلاف السنين، هو النضال المستمرّ من أجل حياتنا وحرّيّتنا [...] إنّ المعركة الحاليّة ضدّ قَتَلة "حماس" هي فصل آخَر في هذه القصّة [...] إنّها حرب بين أبناء النور وأبناء الظلام".[11]

في هذا الصراع المانويّ،[12] تسعى دولة إسرائيل وراء تطبيق الـ "عدالة التوراتيّة"، على خُطى الحركة الكهانيّة التي أسّسها مئير كهانا.[13]

في هذا المشهد؛ تتكشّف عَمْلَقَة الفلسطينيين، كما هي متبدّية في الإبادة الجارية في غزة، كيف يُحوّل المدنيّون، من خلال قصفهم وتجويعهم ومهاجمتهم، إلى أشلاء متناثرة، محض لحم بشري عديم الإنسانيّة. هنا يتكشّف جوهر الأيديولوجيا الاستعماريّة الاستيطانية الكامن في تقطيع أوصال الجسد الفلسطينيّ والأرض الفلسطينيّة معًا.[14]

ومع ذلك، فإنّ مقاربة هذه الشروط المتشابكة والمندمجة -بأُنطولوجيّتها، ومنطقها الأمنيّ، وطابعها المقدّس- من خلال مصطلحات قانونيّة، أو من خلال جدلٍ قانونيّ حول "النيّة" في اتّفاقيّة الأمم المتّحدة لمنع جريمة الإبادة الجماعيّة، تُخْفِق في الإقرار بل كذلك في وصف "أشلاء" الرُّضَّع المتحلّلة على أنّها عمليّة تقطيع أوصال للمجتمع الفلسطينيّ، وعائلاته وبيوته وفضاءاته، منذ النكبة حتّى هذه اللحظة من الإبادة المستمرّة. ففي المستعمَرة الاستيطانيّة، يفشل التحليل لأنّه يقع تحت حصارٍ نفسيّ، لأنّ وحشيّة الاستعمار الاستيطانيّ -على نحوِ ما شرح ديڤيد لويد وپاتريك وولف- "هي في آنٍ واحدٍ عنف مؤسِّس لحالة قانونيّة، يكوِّن في ما بعد نمطًا معيَّنًا من السيادة، وَ"استخدام حرّ ووحشيّ للقوّة" [...] وإنّ الملازمَ لهذه الإعادة الدائمة لتشكيل العنف المنشِئ للقانون -وهو عنفٌ لا يسمح بِـ "نسيان" أصول القانون الكامنة في الاستحواذ- هو استمرارُ"حالة حصار" نفسيّة؛ وهي تمثيل العالم بوصفه محيطًا مأهولًا بشعوب غير متحضّرة تشكّل (على حدّ تعبير المحافظين الجدد- كما في الخطاب الصهيونيّ) "تهديدًا وجوديًّا" للذوات المتحضّرة. وبمنطقٍ يتّسم بالارتياب (المنطق البرانوييديّ) مُتقَنٍ، يعاد إسقاط القوّة "الحرّة والشرسة" الممارَسة على أولئك المطرودين إلى "ما وراء الخطّ".[15]

---

11. Benjamin Netanyahu [The Prime Minister of Israel], "Letter from Prime Minister Benjamin Netanyahu to Our Soldiers and Commanders in the Swords of Iron War:/ 'Soldiers, men and women'/," Facebook, 3 November 2023, https://www.facebook.com/IsraeliPM/posts/873110637512400?rdid=dzGAh4dQY5siHiC.

12. يُستخدم مصطلح "مانويّ" (Manichean) هنا للإشارة إلى منطق لاهوتيّ–أخلاقيّ يقسّم العالم تقسيمًا كونيًّا صارمًا ومطلقًا إلى ثنائيّات مطْلَقة من قَبيل الخير/ الشرّ، النور/ الظلام، الحياة/ الموت، بحيث يُجرَّد "الآخَر" من أيّ تعقيد إنسانيّ أو تاريخيّ، ويُعاد تعريفه بوصفه تجسيدًا للشرّ المطْلَق غير القابل للفداء. لا يشير هذا الاستخدام إلى مجرّد ثنائيّة تحليليّة أو خطابيّة، بل إلى بنْية خلاصيّة–إقصائيّة تُنتِج شَرْعَنَةً للعنف والإفناء بوصفهما فعلَيْن أخلاقيَّيْن وضروريَّيْن. في سياق هذه المقالة، يعمل المنطق المانويّ بوصفه أحد الأسس اللاهوتيّة التي تُمكّن النظام الاستيطانيّ الاستعماريّ من تحويل القتل والإماتة إلى ممارسة مبرَّرة أخلاقيًّا، ومن إدراج الإبادة ضمن سرديّة انتصار للخير على الشرّ. [المترجِم]

13. كان كهانا شخصيّة سياسيّة قوميّة متعصّبة وعنصريّة، اعتبرت العنف ضدّ العرب والفلسطينيّين ضرورةً لتعزيز "الكبرياء اليهوديّ" وضمان "الأمن اليهوديّ". انظروا:

Shaul Magid, Meir Kahane: The Public Life and Political Thought of an American Jewish Radical (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2021).

14. تصوغ ايتاليا عمر مصطلح "العملقة" (Amalekization) في مقالتها:

"On Turning Palestine into a Terra Nullius: On Amalek and 'Miracles'," Journal of Genocide Research (22 May 2025), https://doi.org/10.1080/14623528.2025.2504737.

15. David Lloyd and Patrick Wolfe, "Settler Colonial Logics and the Neoliberal Regime," Settler Colonial Studies 6, no. 2 (2016): 114, التشديد مضاف.

لا يسعفنا مصطلح "الإبادة الجماعيّة" القانونيّ (الذي يشير إلى مجموعة من الأفعال المحدَّدة التي تُرتكَب بقصد تدمير جزئيّ أو كُلّيّ لجماعة قوميّة أو إثنيّة أو دينيّة) كباحثة فلسطينيّة تكابد يوميًّا تحت هذه الحالة من الحصار النفسيّ المشَرْعَن قانونيًّا، بينما أراني لا أَشهَدُ على تقطيع أوصال الأرض الفلسطينيّة وفضائها وفصلها العنيف فحسب، بل أراني كذلك أَشهَدُ على تقطيع أوصال الأجساد الميّتة، الأجساد التي أُفْرِطَ في قتلها حتّى تحوّلت إلى أشلاء. فالمفهوم القانونيّ الذي تستند إليه اتّفاقيّة الإبادة الجماعيّة، أي "نيّة التدمير"، تفرغه المستعمَرة الاستيطانيّة من مضمونه من خلال تحويله إلى لاهوت أمنيّ إسرائيليّ مقدَّس. فالدولة، وعلى أرضها الخاصّة ومن خلال لاهوتها الأمنيّ وسياساتها المقدّسة، تعمل على تعطيل إمكانيّة تَحَقُّق المستقبل وعلى ارتكاب إبادة جماعيّة ذات طابع استعراضيّ مفْرِط، بينما تتحوّل "الأشلاء" الفلسطينيّة -لحمًا كانت أَمْ جغرافيا- إلى جزءٍ من منظومة رأس المال العالميّ، كما يتجلّى في الدعم المادّيّ غير المشروط للإبادة الإسرائيليّة من قِبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة، والمملكة المتّحدة، ودول أخرى. إنّ استدعاء رواية "العماليق" في سياق إعلان النيّة الإباديّة -أي بيان إرادة الإبادة المُقَنَّع جزئيًّا بتفسيرات توراتيّة وأمنيّة موازية- يسعى إلى شَرْعَنَة العنف من خلال إضفاء الطابع القداسيّ (الدينيّ) على كلّ من الإبادة ذاتها والمشروع الصهيونيّ الذي تُشكّل الإبادةُ جزءًا منه، والذي يستند إلى تضامن صهيونيّ-مسيحيّ يمتلك نفوذًا سياسيًّا واسعًا.[16]

الركيزة القانونيّة: تهاوي النظام القانونيّ الدوليّ

لقد حوّلت الإبادة المستمرّة غزّة إلى مقبرة للنظام القانونيّ الدوليّ، الذي فشل في وقف العنف وتقديم المسؤولين عنه إلى العدالة. النظام القانونيّ العالميّ، ومنطقةُ العدم الأُنطولوجيّ، التي تُستحضر فيها الأشلاء الفلسطينيّة (الأجساد الممزَّقة والمقطَّعة بوصفها لا-كائنات) كلاهما يكشفان إخفاق هذا النظام القانونيّ. فلسطين، بوصفها الاستثناء المطْلَق، تهدِّد بإحداث انهيار في النظام القانونيّ والإنسانيّ الدوليّ وفي معاييره. إلى ذلك أشارت نورا عريقات بكلام بليغ في خطابها في الأمم المتّحدة، خلال إحياء الذكرى السابعة والسبعين للنكبة:

> إذا كان توصيف ما يجري بالإبادة الجماعيّة مُفْرِطًا، يمكنكم مواجهة هذه الفظاعة بوصفها حربًا، وتحديدًا حربًا استعماريّة يشنّها نظام عنصريّ استيطانيّ قائم على احتلال أجنبيّ، تُنظَّم بموجِب البروتوكولات الإضافيّة والقانون العرفيّ للحرب، بما يقتضي الاعتراف بالأسرى بوصفهم أسرى حرب، ويضمن معاملتهم معاملة إنسانيّة، والاعتراف بالمقاتلين الفلسطينيّين بوصفهم مقاتلين، والسماح بتدخّل طرف ثالث. يمكننا استخدام القانون لحماية المستشفيات والمدارس والملاجئ، ولحماية الصِّحافيّين والأطبّاء والعاملين في المجال الإنسانيّ، ولفتح الممرّات الإنسانيّة عنوةً، والالتزام بمذكّرات التوقيف الصادرة عن المحكمة الجنائيّة الدوليّة لاعتقال نتنياهو وچالانت بمجرّد وصولهما. وإن كان توصيف الحرب مفْرِطًا أيضًا، يمكنكم عندها التعامل مع هذه الفظائع بوصفها مأساة إنسانيّة، وإرسال بعثة حفظ سلام لحماية

16. انظر على سبيل المثال:
Mitri Raheb, Decolonizing Palestine: The Land, the People, the Bible (New York: Orbis Books, 2023); Munther Isaac, Christ in the Rubble: Faith, the Bible, and the Genocide in Gaza (Grand Rapids, MI: Eerdmans Publishing, 2025).

الفلسطينيّين الذين حُرِموا من حقّهم في الدفاع عن النفس ما يقارب ثمانية عقود. وإن كانت المأساة الإنسانيّة توصيفًا زائدًا، يمكنكم إظهار قَدْرٍ من الرحمة تجاه الأطفال الفلسطينيّين الذين انتُشِلوا من تحت الركام بأطراف مبتورة ومن دون عائلة، ليجدوا أنفسهم في قفص بلا طعام أو ماء. لا تجلسوا على مقعد السلطة عاجزين عن اتّخاذ أيّ فعل.[17]

بَيْدَ أنّه للأسف، على الرغم من الجهود الاستثنائيّة والشجاعة التي يبذلها كثير من المناصرين، ومن بينهم المقرِّرةُ الخاصّة للأمم المتّحدة المعنيّة بالأراضي الفلسطينيّة المحتلّة فرانشيسكا ألبانيزي، المحاميةُ الدوليّة المختصّة بحقوق الإنسان والشرق الأوسط، وما أوضحته في تقريرها عن الإبادة، والعمل الدؤوب المستمرّ منذ وقت طويل لكثير من الباحثين ومنظَّمات حقوق الإنسان، على الرغم من ذلك ما تزال الإبادة مستمرّة.[18] وفي ظلّ إخفاق كهذا للنظام القانونيّ، مَنْ يستطيع الوثوق به بعد الآن؟

قد يكون صحيحًا، كما يرى مُوتْوَا، أنّ مشروع حقوق الإنسان يعتمد على مثلَّثٍ أخلاقيّ يتألّف من: المتوحّش المعتدي، والضحيّة التي تُعاني، والمنقِذ، الذي غالبًا كما تعرفون، يكون الغرب أو القانون الدوليّ، هو المُخَلّص.[19] يعتمد هذا النظام على قابليّة التعرُّف على الضحايا والإشارة إليهم بوضوح، وبوصفهم ضحايا يتعيّن عليهم أيضًا تقديم أنفسهم أناسًا أبرياءَ يمكن التعاطف معهم، وفي حاجة إلى الخلاص.[20] بَيْدَ أنّ الغرب لن يعرّف الفلسطينيّين، سياسيًّا، بوصفهم ضحايا لأنّهم لا يندرجون ضمن ما سمّاه محمّد الكرد "الضحايا المثاليّين"، أي الضحايا الذين لا يمكن التشكيك في إنسانيّتهم ويستحقّون الإنقاذ.[21] بالنسبة إلى الغرب، يولَد الفلسطينيّون مجرمين وإرهابيّين، ويحاكَمون ضمن اقتصاد أخلاقيّ ليس من صياغتهم، في إطار سياسات استجداء تستوعب المستعمِرين.[22] في الوقت ذاته، تُلقى على عاتق الفلسطينيّين مسؤوليّةُ التكفير عن الذنْب التاريخيّ لمعاداة الساميّة الأوروبيّة؛ وهو ذنْب لم يكونوا طرفًا فيه.[23] يخلق هذا المأزق المزدوج حيّزًا يتيح للاستعمار الصهيونيّ أن يستمرّ في الاستناد إلى سرديّة خلاصيّة عن إسرائيل، من خلال إزاحة العنف المكثّف لبُناها الاستيطانيّة الاستعماريّة والتقليل من شأنه؛ وهذا ما يسمّيه رشيد الخالدي "حرب المئة عام على فلسطين".[24]

17. Jadaliyya, "Noura Erakat Addresses the UN in Commemoration of the 77th Anniversary of the Nakba," YouTubevideo, 16 May 2025, https://www.youtube.com/watch?v=SAjmHHt8Fk4.

18. Francesca Albanese, "Report of the Special Rapporteur on the Situation of Human Rights in the Palestinian Territories Occupied since 1967: Genocide as Colonial Erasure," (United Nations, 1 October 2024), https://www.un.org/unispal/document/genocide-as-colonial-erasure-report-francesca-albanese-01oct24/.

لمقالات أكاديمية ذات صلة، انظر:

Henry Cattan, The Palestine Question (London: Croom Helm, 1988); Richard Falk, Palestine: The Legitimacy of Hope (Washington, DC: Just World Books, 2014); Lisa Hajjar, The War in Court: Inside the Long Fight Against Torture (Berkeley: University of California Press, 2022).

19. Makau Mutua, "Savages, Victims, and Saviors: The Metaphor of Human Rights," Harvard International Law Journal 42 (2001): 201– 45.

20. المرجع السابق، 230 - 3.

21. Mohammad El-Kurd, Perfect Victims and the Politics of Appeal (Chicago: Haymarket Books, 2025).

22. Nadera Shahloub-Kevorkian, "The Occupation of the Senses: The Prosthetic and Aesthetic of State Terror," British Journal of Criminology 57, no. 6 (2017): 1279– 300; El-Kurd.

23. Ussama Makdisi, "Beyond the Palestine Exception," Critical Times 8, no. 1 (2025): 1– 32.

24. مُقتبس في: Makdisi, 12.

لكن، باستدعاء الوضع الأنطولوجيّ للفلسطينيّين بوصفهم لا-كائنات، واختزالهم إلى "أشلاء"؛ وهي حالةٌ يتعذّر، في طبيعتها نفسها، الاعتراف بها، يُجرَّد الفلسطينيون حتى من صفة الضحية: فهم شعبٌ موصوم سياسيًّا سلفًا، لا يمكن اعتباره إنسانيًا، فضلًا عن أن يكون قابلًا للإنقاذ؛ جماعةٌ خارج إمكان الاستعادة أو المستقبل. وعلى هذا النحو، تنهار مقولة "الضحية" في القانون الدولي والخطاب الإنساني أمام هذا الذات غير القابل للاحتواء، والمُتعامل معها كأنّها ميّتة أصلًا، دون اعتراف حتّى بموتها.

بعبارة أبسط، لا مكان لنا في "سيناريو المتوحّش–الضحيّة–المنقذ"، لسبب أو لآخَر. وعلاوة على ذلك، إضافة إلى تحليل مُوثْوَا، يبيّن كتاب مينتش-دي ليون كيف أصبحت الإبادة إحدى العلاقات الخطابيّة الواضحة بين الدولة الاستيطانيّة والسكّان الأصليّين، والتي عبْرها تتحكّم الدولة حتّى بعلاقة السكّان الأصليّين بموتاهم.[25] وفي الحالة الفلسطينيّة، يشمل هذا التحكُّم الأشلاء. يرى ليون أنّ العبوديّة والإبادة كلتَيْهِما تقومان على عنف تأسيسيّ. ويشقّ هذا الفَهْم طريقه إلى أشكال المعرفة المنضبطة، بما في ذلك القانون، الذي بدَوْره يغدو شريكًا فاعلًا في الإبادة المستمرّة.

أقدمت إسرائيل عمدًا على ارتكاب الإبادة الجماعيّة على مرأى ومسمع من العالم. وكما في عمليّات الاغتيال المستهدَف التي ارتكبتها، فإنّ ارتكابها الإبادة الجماعيّة بذريعة "مكافحة التمرّد" لا يرمي إلى انتهاك القانون الدوليّ فحسب، بل إلى تحطيمه أيضًا، أي إلى سحق معاييره ومؤسَّساته القانونيّة. فقبل الإبادة الجماعيّة الراهنة، كانت إسرائيل تعتمد على ثغرات قانونيّة معقَّدة لتحطيم القانون؛ أمّا اليوم فهي تخرقه علنًا وبوقاحة. هذه الإبادة الجماعيّة ليست مقيتة في حدّ ذاتها فحسب؛ بل هي تهدّد عمدًا مجْمَل جهاز القانون الدوليّ لِما بعد عام 1945. وما أُشدِّد عليه هنا هو أنّ هذا الانهيار القانونيّ ليس "نتيجة عَرَضيّة غير متعمّدة" للإبادة الجماعيّة التي ترتكبها إسرائيل، بل هو هدف من أهدافها المعلَنة؛ فهي تجاهر بانتهاكاتها لتجعل منها معاييرَ النظام الجديد الوحشيّةَ.

الركيزة النيكرو_سياسيّة الإباديّة المنقوشة على اللحم/ الجسد

أشير بهذه الركيزة إلى مركزيّة الموت في اللحم المتناثر، الذي يطرح الأشلاء بوصفها الإفراط في القتل للميّت. ومن خلال ذلك، أركّزُ مقاربتي في الأشلاء على أنّها تعبير عن الرفض الفلسطينيّ الفعليّ والنفسيّ لاختزالهم إلى كائنات مخدَّرة وبائسة ومقطّعة الأوصال، ميّتة، وعديمة الكينونة، أو غير جديرة بالحياة. في هذا السياق، أستخدم كلمة "أشلاء" باللغة العربيّة، للإشارة إلى الأجزاء الجسديّة المتناثرة واللحم الممزَّق، لأنّ الغزّيّين يكرّرون هذا المفهوم بقلقٍ مُلِحّ لوصفِ ما يجري، ولأنّ هذا الاستدعاء يُساعد في تحليل إدراكهم لوظيفته المفاهيميّة وتفكيك العمل السياسيّ لوحشيّته.

أجادل بأنّ الأشلاء تتجاوز تفكيك مجالَي الإماتة-السياسيّة (النيكرو-سياسة) والسياسة الحيويّة في أنظمة الهَيْمنة العِرْقيّة، من خلال دفعنا لقراءة نقوشها في أجساد ولحم المستعمَرين المقطَّعة والجريحة والمحتضَرة. وبِذا، أجدني أجادل أنّ الأشلاء تكشف لنا نَهمَ المستعمِر الجشِع الذي يحظر التفكير في الكينونة الفلسطينيّة، ويَحُول دون قدرتها على أن تكون وأن تتشكّل ككِيانٍ متكامل، وأن تنبعث من فوق أوصاله المقطَّعة والمقتلَعة.

25. Mark Minch-de Leon, Indigenous Inhumanities: California Indian Studies after the Apocalypse (Minneapolis: University of Minnesota Press, forthcoming November 2025).

في الضفّة الغربيّة والقدس الشرقيّة المحتلّة، نشهَدُ نكبة مستمرّة بطيئة الإيقاع، بينما في غزّة نشهد إبادةً جماعيّة مكتملة الأركان (وهو ما أصفه بـ "النكبة الإباديّة المستمرّة"). إنّ الدولة الاستيطانيّة الاستعماريّة تستهدف الجسد والأرض معًا، بوصفهما موضوعًا قابلًا للتحلُّل إلى أشلاء ولكلِّ ما يعتري الجِلد ذاته من طفح وتمزُّقات، ويعكسان في آنٍ آليّة ورمزيّة لاستحالة التفكير في الوجود الفلسطينيّ. وانطلاقًا من مجازيّة الأشلاء، يعكس هذا الإهدار للجسد المادّيّ نزْعَ الإنسانيّة الإباديّ الإسرائيليّ، باعتباره إنكارًا مطْلَقًا لأيّ قيمة للجسد، أو للأرض، أو للثقافة، أو للشعب الفلسطينيّ.

الإفراط الشنيع في القتل -المتمثّل في التدمير وتقطيع الأوصال المتكرّر للجسد والأرض معًا، التدمير الذي يتجاوز أيّ غرض سياسيّ أو إستراتيجيّ أو أمنيّ أو حتّى مقدّس- يُفْضي إلى القتل بطرائق تنتهك تكامُل الجسد على نحوٍ يتجاوز كلّ منطق. وهذا هو ركن الإماتة السياسيّة الإفنائيّة المحفور في اللحم، الذي يعتمد على تصريح المشرِّع الصهيونيّ الدينيّ تْسْفِي سُوكُوتْ، في مقابلة على القناة الإسرائيليّة الثانية عشرة، في برنامج "أوفيرا فِلِفِنْسون" في منتصف أيّار 2025، إذ قال: "لقد اعتاد الجميع بالفعل على [حقيقة] [قدرتنا] قتل مئة غزّيّ في ليلة واحدة خلال الحرب [كما حدث بالفعل خلال اليومَيْن السابقَيْن]، ولا أحد يكترث لذلك".[26]

كذلك تتجلّى هذه الإماتة السياسيّة الإفنائيّة في التمجيد الاقتصاديّ والإمبرياليّ للعنف. أنظمة الذكاء الاصطناعيّ، بما فيها "الچوسپل" (The Gospel)، تُولِّدُ قوائمَ بالمباني وغيرها من المنشآت من أجل استهدافها، بينما يستخدم نظام "ويرز دادي؟" (Where's Daddy?) -وهو نظام صُمِّم لقصف المنازل العائليّة عندما يُرجَّح وجود الرجال المستهدَفين فيها- بياناتِ مواقعِ الهواتفِ المحمولةِ المستمَدّةَ من وسائل التواصل الاجتماعيّ لمعرفة متى يكون الهدف في مكان معيّن تمهيدًا لاستهدافه هناك.[27] تعتمد هذه الأنظمة في إصدار أوامر القتل على الشبكات الاجتماعيّة، أو القرب المكانيّ، أو استخدام الهواتف، أو الروابط العائليّة، وهي العمليّة التي وُصِفت على نحوٍ مرعِب بأنّها "استهداف إعلانيّ، ولكن بغاية الموت"؛ أي بمنطق الإعلان الموجّه نفسه، باختلاف أنّ الغاية هي القتل، إضافة إلى رفضها التمييز بين المقاتلين والمدنيّين، حيث يُختزَلون إلى مجرّد نقاط بيانات.[28]

ويتيح استخدام الذكاء الاصطناعيّ في تحديد الأهداف توسيعَ نطاق القابليّة للقتل بصورة تدريجيّة. وليس ذاك نتيجةً عَرَضيّة، بل خاصّيّة تشغيليّة كامنة في بنْية النظام ذاته.[29] وعلى مرّ السنين، أدّى السعي إلى امتلاك "وعي كامل بساحة المعركة" والتشغيل الآليّ للعمليّات العسكريّة إلى تزايد الحماسة للتكنولوجيا العسكريّة المعتمِدة على الذكاء الاصطناعيّ.[30] وقد اعتمد نظام قرار البيانات الإسرائيليّ (DDS) تقنيّةَ "التعلُّم الإيجابيّ غير المصنَّف" لوَصْمِ الفلسطينيّين بوصفهم تهديدًا استنادًا

26. "Religious Zionism MK Appears to Revel in Public Indifference toward '100 Gazans Killed Last Night'," Times of Israel, 16 May 2025 https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/religious-zionism-mk-appears-to-revel-in-public-indifference-toward-100-gazans-killed-last-night/.

27. Human Rights Watch, Questions and Answers: Israeli Military's Use of Digital Tools in Gaza, 10 September 2024, https://www.hrw.org/news/2024/09/10/questions-and-answers-israeli-militarys-use-digital-tools-gaza.

28. Gray, AI, Sacred Violence, and War, 14;

انظر أيضًا:

Katibah, "The Genocide Will Be Automated."

29. Gray, AI, Sacred Violence, and War, 11, 52– 3.

30. المرجع السابق، 9.

إلى بيانات لا تخضع للمراجَعة، أو استنادًا إلى قربهم ممّن قد سَبَقَ أن صُنِّفوا على أنّهم مشتبَهٌ بهم.[31] وهكذا يُوصَمُ الشخصُ –وإن لم يكن منتميًا إلى "حماس"– بوصفه هدفًا مشروعًا.

وكما ينقل چراي، لا يدّعي جيش الاحتلال الإسرائيليّ (IOF)، أنّ عمليّاته "جراحيّة"، بل يصفها أحد المشغِّلين بأنّها "مصنع اغتيالات جماعيّ [...] يقدّر الكمّ على النوع".[32] وبدلًا من العمل على تقليص الأذى، مكّن الذكاءُ الاصطناعيّ جيشَ الاحتلال من ملاحَقة الأهداف بسرعة لوچاريثميّة مقلقة؛ من خمسين هدفًا في العام إلى مئة هدف في اليوم، مع نسبة خطأ تُقدَّر بعشرة في المئة.[33] وبالتالي فإنّ رثاء صديق، أو مشارَكة صورة، أو كتابة كلمات تخضع للمراقبة مثل "شهيد"، قد تدفع بشخص في غزّة إلى دائرة التصنيف التي تسمح بارتكاب عنفٍ استباقيّ بحقّه، وهو ما يزيد قابليّة قتل الغزّيّين، ويُنتِجُ المزيد من الأشلاء المقطَّعة.[34]

إنّ موت الفلسطينيّ لا يُنظر إليه بوصفه أمرًا مؤسفًا، بل يُعتبر عملًا مؤسَّسًا روحيًّا ومُشغَّلًا حاسوبيًّا في خدمّة الدولة الاستيطانيّة الاستعماريّة. ويُتِيحُ توظيف الذكاء الاصطناعيّ في هذه المنظومة تجريدَ القتل من طابعه الشخصيّ على نحوٍ مريح، إذ يخلق مسافة ماديّة بين الجنديّ وهدفه. وفي الوقت نفسه، يسمح بإعادة إضفاء الطابع الشخصيّ للعنف في صيغة إلهيّة عسكريّة، من خلال إنشاء نظام تُصبح فيه الحياة الفلسطينيّة قابلة للتحديد، وخاضعة للمراقَبة والتتبُّع ومستباحة- وهكذا، يُستهدَفُ الفلسطينيّون، ويُمنحون أسماءً، ثمَّ يجري محوهم.

الركيزة العالميّة/ الغربيّة: الأشلاء بوصفها رأسَ مالٍ عالميًّا

تفرض مناقشة الركيزة العالمية سؤالًا جوهريًّا: مَنِ الذي يجسّد الأخلاق الدوليّة داخل المجتمع العالميّ عندما تدعو دولٌ أشخاصًا صدرت ضدّهم مذكّراتُ توقيف من المحكمة الجنائيّة الدوليّة، مثل نتنياهو وچالانت، دون أيّ اكتراث بجرائمهم؟

لفَهْم النظام العالميّ وتشكيله التنظيميّ المعادي للفلسطينيّين، أعتمد على التحليلات التي قدّمتها عريقات في كتابها: "العدالة للبعض" (Justice for Some)، وعلى العديد من التقارير التي نشرتها فرانشيسكا ألبانيزي.[35] كذلك أستند إلى تنظير نسويّات نقديّات مثل شيرين رزّاق، وهورتينز سپيلرز، وسوڤندريني پيريرا، ودينيز فيريرا دا سيلڤا، اللواتي يفسّرن كيف أنّ منطق العنف العالميّ هو ضرورة

31. المرجع السابق، 84.

32. المرجع السابق، 86.

33. Katibah, "The Genocide Will Be Automated"; Gray, AI, Sacred Violence, and War.

توثّق ليلى قتيبة نظامًا يُعْرَف باسمLavender ، وهو نظام تؤكّد مصادر في الاستخبارات الإسرائيلية أنّه يعمل بمعدّل خطأ يصل إلى عشرة في المئة، ما يؤدّي إلى تصنيف أفراد ذوي صلة محدودة أو معدومة بالنشاط العسكريّ بوصفهم أهدافًا، مع زيادة هائلة في حجم الضربات. وفي ما يتعلّق بآثار هذا التوسُّع في إنتاج الأهداف، يبيّن عالم الاجتماع يغيل ليڤي أنّ 61 % من ضحايا الهجوم الحاليّ على غزّة هم من المدنيّين، مقارنة بنسبة تتراوح بين 33 % وَ 40 % في العمليّات الإسرائيليّة السابقة، وبنسبة تَفُوق المتوسّط العالميّ في القرن العشرين البالغ 50 %. انظر:

Julian Borger, "Civilians Make Up 61% of Gaza Deaths from Airstrikes, Israeli Study Finds," Guardian, 9 December 2023, https://www.theguardian.com/world/2023/dec/09/civilian-toll-israeli-airstrikes-gaza-unprecedented-killing-study (accessed 18 July 2025).

وللاطّلاع على التقرير الأصليّ، انظر:

Yagil Levy, "The Israeli Army Has Dropped the Restraint in Gaza, and the Data Shows Unprecedented Killing," Haaretz, 9 December 2023.

34. Gray, AI, Sacred Violence, and War, 92.

35. Noura Erakat, Justice for Some (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2019).

من أجل الغزو الاستعماريّ، والهيْمَنَة، والتهجير، والاستيطان، والاستعباد.[36] كذلك أعتمد على مفهوم جوزيف پوچليزي: "النقش الجغرافيّ-الجسديّ" أو "النقش الجغرافيّ-الجُثَثيّ" (Geocorpographies الجيو-كوربوچرافيا): المفهوم الذي يُشير إلى الجسد، في أيٍّ من تجلّياته، يكون دائمًا مُتَمَوْضِعًا في سياقٍ جغرافيّ سياسيّ، وخاضعًا للنقش من خلال علامات، وخطابات، وأنظمة بَصَريّة، وغيرها". كذلك إنّه يكشف، بوصفه موقعًا للتعذيب الذي تمارسه الدولة، عن "التشابك العنيف بين لحم ودم الجسد داخل الجغرافيا السياسيّة للحرب، والعِرْق، والإمبراطوريّة".[37]

تساعدني هذه التحليلات في تفكيك التشابكات العنيفة المتمثّلة في الأشلاء داخل الجغرافيا السياسيّة للحرب الإباديّة ضدّ الفلسطينيّين. لكن ما يقلقني هو أنّ الأشلاء الفلسطينيّة، في تقطيعها وجروحها، تحوّلت من قِبل المستعمِر وحلفائه إلى رأس مال متْخَم بلحمٍ أُفرِطَ في قتله ليؤكّد على سلطة النظام العالميّ. ففي ظلّ هذا النظام العالميّ، تُقابَلُ المقاومة بالترحيل، والتهجير، ونكوص التنمية، والاعتقال، والقتل خارج إطار القانون، وإبادة البيوت، وإبادة التعليم، والإبادة الجماعيّة، وإنتاج المزيد والمزيد من الأشلاء.

إنّ نظام النقش الجغرافيّ-الجسديّ العالميّ المختلّ، المهووس بدعمه لإسرائيل، يحوّل مقاتلي الحرّيّة إلى "آخَرين" قابلين للقتل؛ فالمستعمِر يستطيع أن يهاجم الرجال، والنساء، والأطفال، والجميع، لأنّهم أصلًا قد جَرى وَصْمُهُم بالقابليّة للقتل، بل كأشلاء بالفعل. وهنا أيضًا، الهياكل القانونيّة لا تُجدي نفعًا؛ فالعنف حقيقيّ، والقانون الدوليّ المتعلّق بالإبادة الجماعيّة، وجرائم الحرب، والجرائم ضدّ الإنسانيّة، وجرائم الدولة، وغيرها، هذا القانون لن يستطيع أن يوقف الجهاز العالميّ الإماتيّ القائم على النقش الجغرافيّ-الجثثيّ، الأذى بالفلسطينيّ.

ليست الأشلاء في النظام العالميّ مجرّد بنْية رعب وإفراطٍ في القتل فحسب؛ بل هي تختزل الكينونة الفلسطينيّة إلى رهينة من لحم وأرض يُفترَض بهما دائمًا أن يُمزَّقا، ولا يُمنحان إمكانيّة الوجود، حتّى في خضمّ ردّ فعل قانونيّ من دول مثل جنوب أفريقيا، وحتّى عندما تخرج جماهير عالميّة إلى الشوارع ويقاطَع المحتلّ احتجاجًا على الدولة الإباديّة. في هذا المشهد القائم على النقش الجغرافيّ-الجُثَثيّ لجسد الآخر الفلسطينيّ، تتعامل القوى السياسيّة مع العالم والأشلاء الفلسطينيّة بوصفها أمورًا بديهيّة، وتُحيلهما إلى مجرَّد قواعد إماتيّة-سياسيّة، أُنطولوجيّة، وإپستمولوجيّة.

36. Sherene Razack, Dark Threats and White Knights: The Somalia Affair, Peacekeeping, and the New Imperialism (Toronto: University of Toronto Press, 2004); Sherene Razack, Dying from Improvement: Inquests and Inquiries into Indigenous Deaths in Custody (Toronto: University of Toronto Press, 2015); Hortense Spillers, "Mama's Baby, Papa's Maybe: An American Grammar Book," Diacritics 17, no. 2 (1987): 64– 81; Suvendrini Perera, "They Give Evidence: Bodies, Borders, and the Disappeared," Social Identities 8, no. 3 (2002): 411– 42; Denise Ferreira da Silva, "Toward a Black Feminist Poethics: The Quest(ion) of Blackness toward the End of the World," Black Scholar 44, no. 2 (2014): 81– 97.

37. Joseph Pugliese, "Geocorpographies of Torture," ACRAWSA E-journal 3, no. 1 (2007): 12.

الركيزة النفسيّة-الجماليّة وخطاب الرعب والوحشيّة الاستعماريّة

يستطيع العالم اليوم أن يرى عبْر التغطية التي توفّرها وسائل التواصل الاجتماعيّ، كلّ مشاهد الأجساد المذبوحة، والأطفال الموتى، والرجال والنساء العراة المعذَّبين، والجغرافيا المدمَّرة بالقصف؛ وكلّ ذلك من أجل تحقيق ما يُسمَّى "الأمن الدائم" لكِيانٍ واحد، بعد أكثر من سبعة وسبعين عامًا من الإبادة والنكبة.[38]

اليوم، صار المشهد استعراضيًّا؛ نراه جميعًا: بشر يحترقون، وأشلاء بشريّة تتطاير في الهواء، وأطفال موتى ومحتضَرون، وعائلات بأكملها تُمحى. وإضافة إلى ذلك، تكشف دراسات الحرب الحديثة أنّ الأنقاض والركام المتآكل، والثُّفايات البيولوجيّة، وتفكيك البنْية التحتيّة الصحّيّة، كلّها معًا يمكنها أن تُنتِجَ أمراضًا خطيرة مزمنة، من بينها الْتهابات جلديّة، قد تحصد مع مرور الوقت أرواحًا أكثر ممّا حصدته القنابل.

إنّ التركيبة القاتلة التي تسود في غزّة اليوم، والمتألّفة من الجوع، والمرض، والتهجير، والتدمير، بالتوازي مع انهيار البنى الصحّيّة العامّة، أدّت إلى ارتفاع معدّلات الْتهابات الجهاز التنفُّسيّ العُلْويّ، والْتهاب السحايا، والطفوح الجلديّة، والجرب، والقمل، والجدريّ المائيّ، والتهاب الكبد. أمّا في رفح، فثمّة مرحاض واحد تقريبًا لكلّ 850 شخصًا، ومكان استحمام واحد لكلّ 3,600 شخص، وهو ما يتجاوز بكثير معايير "Sphere" التي تحدِّدُ مرحاضًا ومكانَ استحمامٍ واحدًا لكلّ عشرين شخصًا،[39] بينما يُضعف الجوع وحده دفاعات الجسد ويفتح الباب أمام الأمراض، وكذلك يزيد سوء التغذية من خطر وفاة الأطفال. وعلاوة على ذلك، ثمّة أكثر من 120 ألف جريح لا يستطيعون تلقّي العلاج الطبّيّ. وتظهر أمثلة عديدة من حول العالم كيف يعمل كلّ من نظام الفصل العنصريّ والاستعمار الاستيطانيّ على تقويض الحقّ في الصحّة للمستعمَرين، وكيف أنّ تفكيك أنظمة السيطرة هذه يُعَدّ شرطًا أساسيًّا مسبقًا لتحقيق العدالة الصحّيّة. أمّا في غزّة، ومع مستوى الحرب الحاليّ وانعكاساتها على الوضع الصحّيّ، فهي تتحوّل إلى قبر جماعيّ لموت بطيء مؤلم، وإلى فضاء دائم للإفراط في القتل.

ما نراه ونشهد عليه جماليًّا يُشبه ما صاغته الباحثة والكاتبة النسويّة آن ماكلينتوك بمفهوم الـ "Porno-Tropics"، أي "الفانوس السحريّ الخياليّ الذي أسقطت أوروبا عليه رغباتها ومخاوفها الجنسيّة المحظورة". ففي سياق النكبة الإباديّة الجارية في غزّة اليوم، تُستحضر الطبيعة والأرض ضمن هذا التخيُّل الإيروتيكيّ المؤنَّث والمجمَّل، بما يخدم النزعة الاستعماريّة في الاختراق والغزو. وفي إطار هذه الجماليّة وهذا الخطاب، تتجاوز عقليّة الجريمة والجاني والمتواطئين معه الإبادةَ ذاتها لتصبح "جريمة الجرائم".

38. لمزيد حول تدمير المشهد العمراني في غزة، انظر:

Eyal Weizman et al., A Cartography of Genocide: Israel's Conduct in Gaza since October 2023, Forensic Architecture, updated 21 January 2025, https://forensic-architecture.org/investigation/a-cartography-of-genocide.

39. James Elder, "Gaza's Children: Trapped in a Cycle of Suffering," UNICEF, 26 March 2024, https://www.unicefusa.org/press/gazas-children-trapped-cycle-suffering; Ghada Al-Jadba et al., "UNRWA at the Frontlines: Managing Health Care in Gaza during Catastrophe," UNRWA, 13 February 2024, https://www.unrwa.org/newsroom/official-statements/unrwa-frontlines-managing-health-care-gaza-during-catastrophe.

الأهوال النفسيّة لا تكشف عن صدمة تراكميّة مستمرّة فحسب، بل تكشف كذلك عن فاعليّة الفلسطينيّين في ما أستشفّه في فعل "اللَّمْلَمَة"، أي جمع ما تمزَّقَ من أشلاءِ وأذكارِ أحبّائهم ولَمْلَمَتها، بوصفه سلوكًا تحرُّريًّا مقاومًا للاستعمار يُعلِّمُ ممارسة الأمل في مواجهة تقطيع الأوصال واليأس.[40] إنّ جمعهم للأجزاء الجسديّة المتناثرة لأحبّائهم الموتى يشكّل إرادة لرفض المحو وتقطيع الأوصال. وهو رفضٌ لقبول اقتلاع الرُّفات، لا من المكان فحسب، ولا من الجسد والأرض فقط، بل كذلك من العقل، والذاكرة، والوجود الأُنطولوجيّ ذاته.

فالأب الغزّيّ الذي يجمع بقايا أطفاله، أشلاءَهم، في أكياس بلاستيكيّة، باكيًا وهو يردّد لمن حوله أنّ هذه أشلاء أطفاله، والأمّ الغزّيّة التي تجمع بقايا طفلها كي تضمن دفنه كاملًا وبكرامة، هذه الأفعال تُتيح للأمّهات والآباء الفلسطينيّين تسميةَ عنف الجناة الصهاينة وتحديدَه، وإعادةَ تجميع الأجزاء الجسديّة المبعثرة وإرجاعَها إلى كينونتها وإلى الإنسانيّة، وحفْظَ العنف الاستعماريّ وتقديمه بوصفه آلةً للقتل، وفي نفس الوقت مقاومة اختفاء أطفالهم في مجهوليّة بلا أسماء ولا مساءلة.

يكشف فعلُ لَمْلَمَة الأشلاء وجمعها الكيفيّةَ التي بها يقاوم الآباء والأمّهات الغزّيّون الوحشيّةَ الاستعماريّةَ عبْر تحرير أنفسهم من النظام القهريّ الاستعماريّ الذي يُخضِعهم لحالة من القابليّة للقتلِ والمحو. إنّهم يصرّون على كمالهم وكلّيّانيّتهم الوجوديّة، بدل الرضوخ لتشظّيهم وتقطيع أوصالهم. وفي أفعال احتضان الأشلاء ولَمْلَمَتها، تؤدّي أجسادُ الأطفال الغزّيّين الممزّقةُ فعْلَ تحدّي الإبادة الجارية، على نحوِ ما تصوغه الباحثة الأصلانيّة ليان بيتاساموساكي سمبسون بوصفه منهج "الصُّنْع والفعل المتجسّدَيْن"، أو "استحضار الحضور".[41]

وعلى الرغم من أنّ هذه الإبادة الجماعيّة تتّسم بالمُطْلَقيّة وباستعراضيّة في إفراطها في القتل، يواجهها الفلسطينيّون بالتحدّي واللَّمْلَمَة وإحياء الأشلاء، للإصرار على الكرامة والاستمراريّة بالتوازي مع التأكيد على أشكال من السيادة الحيّة في مواجهة القوّة الإماتيّة-الإباديّة. إنّ اللَّمْلَمَة فعْلُ حضور واستحضار حضور. إنّها احتضان، وتسمية، وتعطيل لعنف النظام الاستعماريّ، وكذلك هي فعل تجميع للقوّة عبْر إنتاج فضاء من الحبّ، والعناق، والإنسانيّة، والقدرة على التنفُّس وسط الموت الإباديّ.

غزّة: مقبرة النظام القانونيّ

بالرغم من فقدان المصطلح القانونيّ لشرعيّته، والهوّة التي وقع بها القانون والقانونيّون خلال السنوات الأخيرة للإبادة، فإنّ الباحثين تساءلوا: هل ما يجري إبادة جماعيّة؟ وَفقًا لراز سيچال، أجل، وثمّة نيّة واضحة لارتكابها.[42] أمّا داريل لي، فيقول إنّ اتّهام إسرائيل بارتكاب إبادة جماعيّة يمكّن الفلسطينيّين وحلفاءهم من دَمَقْرَطة سلطة المصطلح نفسه؛ "عبْر انتزاع مصطلح الإبادة الجماعيّة من قانونيّته الجافّة المفرِغة"، التي تخدم الوضع الراهن وتَحْقُنُهُ بسياسات مناهِضة للاستعمار على نحوٍ صريح.[43]

40. Lara Sheehi and Stephen Sheehi, Psychoanalysis under Occupation: Practicing Resistance in Palestine (New York: Routledge, 2022).

41. Leanne Betasamosake Simpson, As We Have Always Done: Indigenous Freedom through Radical Resistance (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2017).

42. Raz Segal, "A Textbook Case of Genocide," Jewish Currents, 13 October 2023, https://jewishcurrents.org/a-textbook-case-of-genocide.

43. Darryl Li, "The Charge of Genocide," Dissent, 18 January 2024, https://www.dissentmagazine.org/online_articles/the-charge-of-genocide/.

وفي خضمّ المحاولات لفَهْم هذه الفظائع الطاغية، لا نشهد سوى إخفاقٍ ذريع في وقف الإبادة الجماعيّة الجارية، وعجز وانهيار النظام القانونيّ والسياسيّ الدوليّ. ومن هنا، أتحدّى حقل دراسات الإبادة الجماعيّة عند التفكير في خصائص الإبادة الجماعيّة الإسرائيليّة ضدّ الفلسطينيّين. إنّ تحليل التزام دولة الاستعمار الدائم بالعنف، وسياسات الإفناء الشامل التي تمارسها ضدّ الفلسطينيّين الأصليّين، والتزامها بسياسات الإفراط في القتل، يقتضي دراسته جنبًا إلى جنب مع ركائز الصهيونيّة الخمس. كما في سياقات استيطانيّة استعماريّة أخرى، يكرِّس التعريف القانونيّ للإبادة الجماعيّة نظامًا قانونيًّا يبدو غير ملطَّخ بالدم، نظامًا يرفض رؤية الموت والأشلاء الفلسطينيّة بوصفها ذواتٍ قانونيّةً مستحقّةً للاعتراف.[44]

وانطلاقًا من الركائز الخمس، ندرك أنّ ما نشهده في غزّة هو استهداف مُمَنْهَج وتدمير متعمَّد لكلّ إنسان وكلّ شيء: المباني، والمدارس التي تضمّ أطفالًا، والمستشفيات، والملاجئ، وسيّارات الإسعاف، والصِّحافيّين، والأطبّاء، والمعلّمين، والنساء الحوامل، والأطفال. وفي هذا السياق، يُجري المستعمِرون حساباتهم من أجل القتل والإفراط في القتل. في هذا الشأن، يشرح الأمرَ سيچال، في مقالته "حالة نموذجيّة للإبادة الجماعيّة"، قائلًا إنّ إسرائيل تُظهِرُ نيّة "صريحة، علنيّة، وقحة" لارتكاب إبادة جماعيّة، كما تعرّفها اتّفاقيّة الأمم المتّحدة بشأن الإبادة الجماعيّة لعام 1948. ولكنْ بعيدًا عن رطانة اللغة القانونيّة الاجتماعيّة، يدفعني الانشغال بالأصوات الفلسطينيّة، وما تحمله من مِحَنٍ وعذابات، إلى التشديد على المنطق الإباديّ الذي يحكم النكبة الإباديّة المستمرّة، والتي من غير الممكن مواجهتها عبْر الاتّفاقيّات الدوليّة والتدخُّلات القانونيّة، ما دام الكيان الصهيونيّ الاستيطانيّ يصرّ على تقديم نفسه دائمًا بوصفه ضحيّة لا جانيًا إباديًّا.

إنّ طبيعة الدولة الاستعماريّة الاستيطانيّة مشْبَعة بمنطقٍ وأيديولوجيا إباديَّيْن، بدءًا بالمجازر المتعدّدة التي ارتكبتها خلال نكبة عام 1948، مرورًا بالنظام العسكريّ القائم على المصادَرة والإقصاء الذي فرض منظومة من السيطرة والاعتقال، ومنع اللاجئين من العودة إلى بيوتهم وقراهم ومدنهم التي هُجِّروا منها قسرًا، وصولًا إلى أمر وزير الدفاع الإسرائيليّ يتسحاق رابين خلال الانتفاضة الأولى (1987-1993) الذي قضى بِـ "كسر أيدي وأرجل الفلسطينيّين"، إلى تهويد القدس والضفّة الغربيّة، وإقامة نظام الفصل العنصريّ، والحروب المتعاقبة على قِطاع غزّة، وصولًا إلى الإبادة الجماعيّة الجارية اليوم المموَّلة من الإمبراطوريّة العالميّة ونظامها المختلّ.

وعند التمعّن عميقًا في هذه الدولة، يصبح جليًّا أنّ العالم، بعيدًا عن الجدل القانونيّ، مُطالَبٌ باتّخاذ موقفٍ سياسيّ واقتصاديّ وأخلاقيّ ضدّ النكبة الإباديّة المستمرّة. فإذا واصلت الدولة الإسرائيليّة خطاب "إمّا نحن أو هُمْ" وَ "نحن مَنْ يملك الحقّ التوراتيّ العماليقيّ في السيطرة على الأرض"، وفي محو الآخر الفلسطينيّ قانونيًّا وسياسيًّا استنادًا إلى منظومة أمنيّة–لاهوتيّة، فإنّ النظام القانونيّ يُفرَّغ من أساسه.

علاوة على هذا، سيواصل القانون الدوليّ واتّفاقيّاته الإخفاق في أداء وظيفته، إن استمرّت الدولة الصهيونيّة في تكريس ثقافتها الإماتيّة–الأرشيفيّة المؤسِّسة لشرعيّة القتل القائمة على الشعار

44. لتحليل المستعمرة الاستيطانيّة الأميركية وعلاقتها بسكان كاليفورنيا الأصليّين، انظر:

Mark Minch-de Leon, Indigenous Inhumanities.

ولتحليل علاقات الاستعمار الاستيطانيّ الأستراليّ، انظر: Pugliese.

"اقتلوهم؛ فهُمْ عماليق". وهو ما يعني عمليًّا الاستمرارَ في تقطيع أوصال الفلسطينيّين وتحويل أجسادهم إلى أشلاء جغرافيّة وجسديّة، وصولًا إلى إفنائهم سياسيًّا ووجوديًّا بدعم اقتصاديّ من القوى الغربيّة. في نظامٍ كهذا، تتمتّع الدولة الإسرائيليّة بالحصانة التي تُمكّنها من الإفلات من العقاب على ارتكابها جرائم الحرب، والإبادة الجماعيّة، والجرائم ضدّ الإنسانيّة؛ وهو ما يعني أنّ النظام القانونيّ برمّته قد دخل طور خطر وجوديّ حادّ.

أرى اليوم ابتهاجًا فاضحًا بالإفراط في قتل الفلسطينيّين. وبوصفي فلسطينيّة، أشعر بخذلان عميق من المؤسَّسات القانونيّة والسياسيّة الدوليّة. لكن يبقى ثمّة مجال للتساؤل: ما جدوى دراسات الإبادة الجماعيّة عندما تتلاشى أرضيّتها القانونيّة؟ وكيف يمكن لهذه الدراسات أن تظلّ وفيّة لمبادئها الأخلاقيّة في مواجهة الإبادة الجماعيّة؟

إنّ ما يُبقي الدولة الإسرائيليّة دائمًا في موقع "ضحيّة" العنف، لا في موقع الجاني الإباديّ، هو الإدماج القائم بين "العنف الجماعيّ المؤدلَج عسكريًّا ولاهوتيًّا"، والمنطق الأيديولوجيّ الإباديّ الاستيطانيّ، المتوازي مع النقش الجغرافيّ–الجُثّيّ، والمترافق مع نظامٍ حصريّ للصهيونيّة العِرْقيّة. هذا الإدماج يُمَوْضِع ويختزل الأشلاء الفلسطينيّة بوصفها موقعًا لاستخراج فائض القيمة، بينما تُسجَّل الأجساد الفلسطينيّة الحيّة والميّتة بوصفها فراغًا.

وعندما تحاول الدولة الاستعماريّة الإسرائيليّة أن تُظهِر نفسها متفرّدة بأنّها دائمًا في موقع "مواجهة الإرهاب"، وتَستخدم ما يسمّيه المؤرّخ دِيرْك موزِس حجّة "الأمن الدائم"، أي تلك الحجّة التي تبرِّر "ممارسة الاستهداف الوقائيّ الجماعيّ للمدنيّين دائمًا بوصفهم تهديدًا أمنيًّا"، فإنّ ذلك يستتبع الإفراط في قتل الفلسطينيّين وتحويلهم إلى أشلاء، والبحث الدائم عن اللحظات والمِساحات الجديدة لممارسة المزيد والمزيد من القتل.[45] في هذا الإطار، تتحدّى الدولة أيّ مساءلة، فتُسقِط مسبقًا أيّ نقاش حول مفهوم "النيّة" الإباديّة في القانون، أو أيّ محاولة للبتّ في ما إذا كانت ثمّة إبادة جماعيّة أصلًا.

بَيْدَ أنّ المعرفة التي تُنتِجها الأصوات الفلسطينيّة تُربك هذا الإدماج وتُفكّك مَنطقَهُ من الداخل؛ فأصواتهم وشهاداتهم التي تتحدّث عن الأشلاء تتحدّى هذا البناء لتكشف عن نكبة إباديّة مستمرّة، وكذلك تفضح إفلاسَ العالَم أخلاقيًّا، وتواطؤَ الجمعيّات والمؤسَّسات المهنيّة مع الإبادة الجماعيّة التي غَدَتْ حدثًا يوميًّا عاديًّا، مُتلفَزًا، ومرئيًّا عبْر الوسائط الاجتماعيّة.

لكن، تبقى ثمّة تساؤلات: متى يمكن أن تنتهي هذه النكبة المستمرّة، هذه الوحشيّة الإباديّة وعقليّتها ورعبها المشوَّه؟ كيف، وبأيّ طريقة؟ وما الفظائع الإضافيّة التي تنتظرنا نحن الفلسطينيّين؟ كيف يمكن لباحثي الإبادة الجماعيّة أن يستمرّوا في صمتهم؟ ومع هذا المستوى من الوحشيّة والقبح اللذَيْن تمارسهما الدولة الاستيطانيّة الإسرائيليّة في غزّة، ما الجدوى من وصف ما يحدث بِـ "الإبادة الجماعيّة"، أو "جرائم الحرب"، من دون اتّخاذ أيّ فعل لإيقافه، وإيقاف إنتاج الأشلاء، وإيقاف النكبة المستمرّة؟

45. A. Dirk Moses, The Problems of Genocide: Permanent Security and the Language of Transgression (Cambridge: Cambridge University Press, 2021), 42.

وفي مواجهة منطق وعقليّة الدولة الاستيطانيّة الاستعماريّة الإباديّة الساعية إلى مواصلة الإفراط في القتل في قِطاع غزّة، يرفض الفلسطينيّون ما يبدو أنّه خيارهم الوحيد: أن يتحوّلوا إلى أشلاء والقبول بموتهم. يقاوم الفلسطينيّون مضطهِديهم، ويرفضون التلاشي إلى لا-وجودٍ مادّيّ وأُنطولوجيّ، عبر احتضان أفعال اللَّمْلَمة وجمع أشلائهم المتناثرة، ورفعها إلى حيّز الحضور والمعنى، ليجعلوا منها دليلًا على الاستمراريّة والحياة في فلسطين، وتأكيدًا على حقّهم في النضال من أجل التحرُّر، وليؤكّدوا على ذواتهم، وجماعيّتهم ومحبّتهم بعضهم لبعض.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية